تشكل الشخصية في الرواية الديستوبية

اعداد
أسماء خليل محمد محمد
باحثة ماجستير– نقد أدبي حديث
جامعة جنوب الوادي

Doi: 10.12816/MDAD.2020.88903
الاستلام: ٢٠٢٠/٣/٧ القبول : ٢٠٢٠/٣/٢٥

المستخلص :

يرصد المنهج التكويني بدوره المبدع ولحظة التفكير الأولى في لمشروعه وحل رموز النص وشفراته، أما اللحظة التي يظهر فيها النص المكتوب مطبوعا في كتاب فهذا من شأن التكوينية النصية وهى تهتم بالمخططات المادية، وبالبحث في المشروع الذي بين أيدينا نبحث في روح المبدعة لنجدها شابة قاهرية بأصول أقصرية وعادات جنوبية مرت بأزمة وفاة أبيها صورة البطل في حياتها والرواية ومازالت أسيرة الذكريات، أما النص لأول مرة تتوهم انك أمام نص غامضولكن بالإطلاع على المسودات يتضح مدى استيعاب النص لكل الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية؛ ليسهل على المنهج أن يكشف جميع جوانب المجتمع سابقة الذكر والتي يئن منها المجتمع كله وبتطبيق مراحل تكوّن العمل الأدبي على الرواية يتبين لنا في مرحلة ما قبل الكتابة تأثرها بوالدها وثقافته وولعه بالقراءة وإطلاعها على الثقافات الأخرى، أما مرحلة الكتابة ظلت خلالها أسيرة الذكريات ووضح هذا في السيناريوهات حتى استوت ليصل النص ليصل لمرحلة ما قبل الطباعة لنجد التكوينية النصية وإعداد الملف بين مسودات إلكترونية وورقية قاربت على الاكتمال، ثم ننهي بفك الرموز ودلالاتها، ولقد حاولت الإلمام بجميع جوانب البنى الفنية والداخلية للرواية واستيعابها للمضمون الاجتماعي والنفسي الذي تعبر عنه الكاتبة بوعي سردي تام.

Abstract:

The formation method monitors the creative role and the first moment of thinking about the project and the dissolution of

the text symbols and its codes. The moment the text appears printed in a book, this is about textual composition, and it is interested in material plans. By looking at the project that is before us, we look at the spirit of the creative one to find it a young invincible woman with shorter origins and southern customs that went through the crisis of her father's death, For the first time, you are deluded that you are facing a vague text, but looking at the drafts, it is clear how understanding the text of all social, economic and political aspects; The first phase of the novel shows us, in the pre-writing stage, that it is influenced by her father, culture, reading and learning about other cultures. The writing phase remained a prisoner of memories, and this was explained in the scenarios until the text reached the pre-printing stage to find the formation of the novel and prepare the file between electronic and paper drafts that are almost complete. Then we will finish I've tried to become familiar with all the aspects of the artistic and inner structure of the novel and to understand the social and psychological context expressed by the writer with a complete narrative awareness.

مقدمة :

ينطلق النقد التكويني من مقولة تعبر عن أمر واقع ومفادها أن النص النهائي لعمل أدبي ما - مع بعض الاستثناءات النادرة- محصلة عمل، أي إنشاء تدريجي وتحول يظهر في فترة زمنية منتجة، كرسها المؤلف لكي يبحث مثلا عن الوثائق أو المعلومات وتحضير نصه، ومن ثم كتابته والتصويبات التي يدخلها عليه مرة تلو مرة، ويتخذ النقد التكويني موضعه من هذا البعد الزمني للنص في حالة توله، هو ينطلق من فرضية تقول إن العمل الأدبي، عند اكتماله المفترض، يظل حصيلة عملية تكونه، ولكن من البديهي أن تكون العمل الأدبي، كيما يصبح موضوع دراسة، لابد أن يكون قد ترك في هذا العمل آثارا. فهذه الآثار المادية هي التي يكرس النقد التكويني نفسه لإعادة كشفها وإيضاحها.

فإلي جانب النص وقبله، قد تكون هناك مجموعة من وثائق الكتابة document de redaction التي أنتجها الكاتب وجمعها وربما احتفظ بها، وهذا ما يطلق عليه عادة اسم مخطوط العمل les menuscrits de l-oeuvre وهذه المخطوطات، في حال وجودها، تتغير كما ونوعا بحسب العصور والمؤلفين والأعمال التي هي موضوعا للبحث. فكل ملف من المخطوطات بخصائصه المميزة، يستطيع ما لم يكن مليئا بالثغرات. أن يروي حكاية متميزة ومدهشة. حكاية ما حدث بين اللحظة التي خطرت فيها بذهن المؤلف فكرة مشروعه الأولي واللحظة التي يظهر فيها النص المكتوب مطبوعا في كتاب فالتكوينية النصية (التي تكرس المخطوطات بصورة مادية وتحل رموزها)، والنقد التكويني (الذي يبحث في تأويل نتاج حل الرموز) لا غاية لهما سوى "إعادة تشكيل النص في حالة التولد" وذلك من خلال البحث فيه عن أسرار صناعة العمل الأدبي وهكذا فإن إبراز وفهم خصوصية النص من خلال السيرورة التي أدت إلي ولادته، هو مشروع هذه المقاربة النقدية، التي تحتل مكانة خاصة في بانوراما الخطابات النقدية، والتي تدعو إلي أوسع مشاركة ممكنة مع جميع المناهج الرامية إلي تأويل النص.

وهذا النقد يسعي إلي أدلة نصية يمكن إثباتها، تتعلق بنيات المؤلف، كما أن هذا النقد يحلل العوامل التي تحدد طبيعة النص النهائي، وكلما تقدم من شكل مخطوطة نحو شكل كتاب، وكما يدرس النقد الجيني تأثيرات الرقابة والتنقيح، فإنه يحاول أن يحدد بدقة ما يمكن أن يقال منطقيا عن النص، ويرتبط الناقد جان ميشيل رابانيه Jean- Michel Rabate ارتباطا وثيقا بصياغة المبادئ التي تحكم ممارستها.(١)

واهتمامنا بمسائل التعبير الفني والأدبي يجعلنا نثير آثار هذه العزلة في مستوى نوعي آخر للصياغة في شكل مشكلة التناقض بين الذات الواعية الخالقة والموضوع أو الواقع أو الأشياء المحيطة في مظاهرها المتتالية علي ما هي عليه، وأيضا ما ستكون عليه في المستقبل ويجب علينا أن نعرف كيف نصوغ الواقع النفسي والوجداني؟ وكيف نتخطى الركود والاستمرار التقليدي في مفاهيم فكرية وجمالية ونقدية ؟ ويجب أن نستقطر هذه الرؤية الجمالية من نبع رؤية فلسفية تساهم في فض أسرار التاريخ، هذا كله يتحقق بالحقل تكويني الذي يزعمون أنه جديد ولكنه قديم قدم البشرية فكل ما نعيشه " تكويني" كل تطور يطرأ علينا يندرج تحت طائلة "التكوينية " .

ومن الواضح أيضا عند الكتابة في بعض محاولات الرواية الجيدة التي يقدم عليها بحذر وتردد بعض الشبان الآن. أننا نتعرض لقضية أدبية معقدة .. فالتطورات التي

يعيشها هذا الشكل الأدبي المرن علي مستوي الأدب العالمي، يجب أن تؤخذ في الاعتبار جنبا إلي جنب في علاقتها وانعكاسها علي مستوي تطور هذا الشكل في أدبنا المصري الحديث وبمعني آخر فرضية الرواية الأوروبية وتقاليدها وخبراتها منذ تبلورها كشكل أدبي مستقل في القرن الثامن عشر وفي مدن أوروبية تشكلت فيها خصائص الطبقات البورجوازية، كل ذلك -شكل ومازال – يشكل الأرضية والجو الذي تعرفنا من خلاله علي فنية هذا الشكل الأدبي وأصوله بالإضافة إلي حركة تطور مجتمعنا المصري وميلاد الطبقة البورجوازية المصرية، ومن هنا كان لابد البحث عن منهج يأخذ في الاعتبار مستويين للتطور، المستوي العالمي لتطور الرواية عموما بداية من ثورات المدارس الطبيعية والواقعية والوجودية ورؤية التحليل النفسي حتى اتجاه الرواية الجديدة في فرنسا مستوي محلي يستند علي تقصي ميلاد هذا الشكل الأدبي في أدبنا الحديث علي أيدي "هيكل وتوفيق الحكيم و المازني، ولاشين " وتطوراته وبعض كتاب الرواية المجيدين في مصر.(٢)

وفي الفترة من نوفمبر ٢٠١٤م إلي أغسطس ٢٠١٥م عانت الروائية إبتهال الشايب من آلام مخاض فكرة نصها، وصبت علينا معاناتها التي تعد معاناة أمة بأكملها، حتى فاضت علينا بعملها "يزن ... حجر القمر" إبتهال الشايب الروائية الشابة التي لم تتجاوز الثلاثين من عمرها، نشأت في أسرة مترفة الحال بعض الشيء حيث كان أبوها مفتشا بوزارة السياحة، وأمها ربة منزل - نشأت في القاهرة تربت وتعلمت هناك- ولكن لها أصول أقصرية تعرف العادات والتقاليد الجنوبية جيدا وتطبقها في حياتها، سردت لنا هذه الأقصرية الشابة عملها في مائة وست وعشرين صفحة مقسمة من الداخل إلي ثنتا وثلاثين فصلا تتراوح بين الفصول المتوسطة الحجم والفصول الصغيرة عنونتها جميعا بـ " يزن .. حجر القمر " وخُطَّ تحت هذا العنوان المحير حروف تحمل اسم الكاتبة "إبتهال الشايب" ويحمل الغلاف صورة لفتاة - دون تفاصيل وجه- تنمو حولها وبداخلها الزهور ربما كانت حلم ولأني لا أظنها حقيقة، فالزهور الزرقاء لا تنمو إلا في تربة ملائمة لذلك ونحن نحيا حياة مريرة قاسية ونحمل نفوسا جدباء لا تزهر بها الزهور هكذا... وتعلوها سماء مضيئة صافية وشعرها بني مرسل علي ظهرها تلتف علي يدها اليمني حية تبدأ بكفها مرورا بساعدها وحتى أعلي الذراع، وفي الناحية الثانية من الغلاف أعلي اليسار صورة الروائية تحتها نحتت الكلمات التي نقشت على الحجر في أحداث الرواية " **إنه الحزن هو ما يعصف بكم وينسيكم فتذكروا دوما أن سقف الأرض**

سماء، وأن الصخور جبال والأعمدة الخشبية تسمي أشجارا، والقرص الذهبي يدعي شمس والتراب هو أنتم، والبحر بالنسبة لكم أزرق واسع ليس هو بحياة.. وليس هو بموت، والأمل في الأساس .. قمر " . حفرت هذه الكلمات علي ظهر غلاف روايتها كما وردت في متن الرواية أنها كلمات نقشت علي حجر فقط تظل كقارئ للوهلة الأولى أنه قاصر علي الصخرة ولكنه مفتاح النص كله، الأحجار والسماء والبرودة والأشجار والتراب والبركان وحائط زجاجي والقمر فقد استنطقت الكاتبة الجمادات والصور تكمل بعضها فقد رسمت الكاتبة ليلا حالك السواد للديكتاتورية الباسطة أجنحتها علي المغلوبين علي أمرهم حيث السماء ملبدة بالغيوم دائما في الرواية ترفض أن تنجلي والليل ممتد في كثير من جوانب الأحداث معبرا عن السواد فقدان الحريات ومؤكدا أن الديكتاتورية ترفض الانفضاض أو الانجلاء بالدعوات أو الترنيمات وإنما تحتاج إلي ثورات النفوس وانفعالات الثوار، وكانت بينهم تبادلية فاتنة في أداء دور كل منهم، ربما كان بقاء هذه الكلمات علي الغلاف لسبب آخر هو أن تبقي عالقة في أذهاننا وربما كانت رسالة موجهة إلي قلوبنا .

بالبحث والتنقيب داخل روح المبدعة وقراءة النص للوهلة الأولى نتوهم أننا أمام نصٍ غامض للغاية وأن الكاتبة ألقت بمفتاح نواة النص الداخلية غياهب الجب ولكن بالاطلاع على مسودات نتبين أننا أمام عمل روائي أزعم أنه يستوعب كل الجوانب الاجتماعية والنفسية والاقتصادية ... إلخ ،ومتوفرة لدينا المسودات والكاتبة فهي فرصة ذهبية لإقامة دراسة تكوينية علي عمل روائي نفسي في المقام الأول حتى يسهل علي النقد التكويني أن يكشف عن كل الجوانب التي سبق ذكرها، وهي نفس الجوانب التي يعاني منها المجتمع المصري في هذه الآونة ، هذا إضافة إلي أن فن الرواية مرن يهضم جميع الجوانب الفنية والاقتصادية والنفسية والاجتماعية يختلف عن غيره من الألوان الأدبية من مسرح وشعر وملحمة ..وكما أدلي نجيب محفوظ برأيه في الرواية في مجلة الكاتب المصرية "كما قد تقوم علي الاسترسال من الممكن أن تقوم علي الشكل الدراسي الأمْيَل إلي التركيز وإلي إعطاء الصدارة للحوار وتستطيع أن تناقش الفكر كما تستطيع أن تعرض مناقشات طويلة وعويصة مما يعتبر إدخاله في المسرح مغامرة من المغامرات مثل المناقشات التي دارت في رواية "الحبل السري " لتوماس مان أو كالمناقشات التي عرضها بروست في " الزمن المفقود " وهي مناقشات طويلة وخاصة في الفلسفة والفن ومن الممكن أن تتجزأ الرواية لتصدر في كتب منفردة ". (٣)

Doi: 10.12816/MDAD.2020.88903

ربما كان عملها هذا بمثابة دعوة للرجوع إلي الطبيعة البكر وترك كل ما هو مصطنع وقاسٍ، وربما هي تلك الغربة التي تسري بداخلنا كحية تدس فينا سمها ورغم كل هذا التصحر الذي نعانيه إلا أننا نشعر بالزهور والصفاء الذي بداخلنا مازالت " إبتهال " تري أخضرا في نفوسنا وتوشك أن تلمس ذلك الحلم في نفوسنا وتحوله إلي حقيقة ، إنه الأمل يا رفاق وحده القمر القادر علي خلق تلك الزهور والسماء الصافية ورؤية الألوان ببهجتها الساطعة .

وظهرت هذه الزهور أيضا في الإهداء فجاء كذلك :

" زهور صغيرة في حياتي يروونني حبا فاروي قصصا .. "

لم تكن "إبتهال الشايب" لتكتب هذه الكلمات إلا لأنها تري شيئا جميلا بل أشياء روحانية تنأي بها بعيدا عن عالمنا القاسي، وكانت دعوة منها إلي رؤية الواقع بشكل أفضل وأجمل، دعوة إلي الاستيقاظ من التوهة والضياع وسلب القوي إلي الأمل وجعل الواقع الذي نحياه أجمل حيث جعلت ابتهال من هذه السطور الآتية متنفسا لعملها كي نخرج لعالم أكثر رحابة :

"أين تتقبل الأمر وتعاشر الظلام وقبلتك الحارة الطازجة علي شفتيه سيتغير الكون من حولك "

هنا تظهر دعوة "الشايب" لعودتنا إلي الواقع ظهور الشمس لرفض التعايش مع واقع مؤلم صعب، فنحن حينما نعاشر الظلام ونتكيف معه ونتقبله بكل مزعج أحمق فيه يتغير الكون من حولنا إلي الأسوأ حيث يصبح الكون قبرا واسعا يضم كل رفات المتقبلين لهذا الواقع رغم أنين أنفاسهم، فتقبل الذكريات المؤلمة والمهينة من حولنا يخلق من حياتنا واقعا أضيق يكسر نفوسنا المختنقة ألمًا، ولكن الجو النفسي غير مقبول حيث صارت العلاقة بين مذكرين من جنس واحد وكان الأحرى أن تكون بين جنسين مختلفين ولكنها تخاطب الإنسان .

وكلمة "سيتغير" تعني التغيير والثورة عكس ما تصوره لنا الكاتبة من حياة القبور؛ لأنه بالاستسلام سيموت كل شيء وأنت راضٍ.

لكن الملاحظة الأهم هنا هي التناقض بين وعي الكاتبة بالأرضية الاجتماعية والسياسية التي بنت عليها روايتها وبين وعيها في نفس الوقت باختيار الحدث وتقديم الشخصيات وأسمائهم وتجنب الوصف الحسي الممل فهذا التناقض بين المعنى والدلالة وبين الجزئيات العملية التغيرية أدي إلي إضفاء بعدا آخر للقارئ حيث أنك لا تمل حتى

تصل إلي النهاية، وقد صرحت وفسرت في خاتمة العمل الأدبي وكأنها فقدت الثقة في القارئ إلي أن يصل إلي حل لرموزها الروائية والأحداث، رغم ما فيها من مدلولات فأصبح القارئ لن يعاني كثيرا ليصل إلي الحلول مما أفقد نهاية الرواية روعة التشوق والتساؤلات والتفسيرات المفتوحة وحجرت علي خيال القارئ أن يسبح بفكره ويضع تفسيراته وتأويلاته وهمومه علي شخصيات وأحداث الرواية .

وكان لهذا لابد من وجود تفسير للإنتاج الأدبي في علاقته بالسيرورات اللاواعية هو ما يبرر لنا تحليل أعمال معينة من حيث محتوياتها وإشارات يتركها لنا الكاتب والنص لكشف أغوار الحالة الاجتماعية والاقتصادية والنفسية التي يعيش فيها المبدع وكتب من خلالها النص .

إليك عرضنا النقدي لمراحل تكون نص "يزن..حجر القمر "

أرادت الكاتبة في ثنتي وثلاثين فصلا أن تكشف هموم أمتها ، وتتناول معاناة الروح المصرية وشحوب قدرتها علي المواصلة بمفردها مثلها مثل أشخاص الرواية وأيضا علاقتهم بالواقع ، فهي طول الوقت تظل تبحث عن شيء أحدث فجوة كبيرة بداخلها وربما كانت " موت أبيها " اختارت زوايا هامة فقد أعلت من صوت الفن كالرسم والتصوير والتواصل كأدوات للتعبير عن الذات وحتى أنها ذكرت أهم التغييرات التي حدث في وجوههم بعدما استخدموا الرسم والنحت كوسيلة للتعبير عما بداخلهم فأصبحت وجوههم منيرة ساطعة ، ربما كانت الكتابة الروائية أو القصصية هي المتنفس الأهم للكاتبة فالرواية تخاطب ناحية نفسية ، حيث أن التداعيات اللإرادية عند الكاتبة تسهل حضور صور ومشاعر وذكريات لم تكن متوقعة ، وهذه الوظيفة هي مطابقة شخصية وهمية علي شخص حقيقي ، حيث أن الكاتبة أرادت أن تقول "أن يزن هو أنا لكن قبل الأزمة وتحاول أن تنسق مع ذاتها قبل نزوح والدها إلي الغرب ، ومدى تعايشها مع الواقع المرير الذي هو أشبه بالموت أو أكثر منه قسوة ، والتبس الأمر عليها أحية هي أم ميتة ووالدها ميت أم يحيا حياة أفضل مما تحيا هي؟ أم يموت كل يوم جديد موت أكثر ؟ كل هذه التساؤلات النفسية أرقت " إبتهال الشايب " أكثر من اللازم في هذه الرواية وكادت أن تطيح بفكرتها أرضا ولكنها تفاجئنا في آخر صفحة بأنها استسلمت للواقع وعاشت راضية في أرض الموتى تنتظر يوما جديدا سعيدا لميتٍ تعسٍ مثلها ..

وتقدم لنا ابتهال هذه الأسطورة من خلال لغة شعرية مكثفة المعاني تحلق في السماء سقف أرض الموتى في أجزاء متباعدة لتهمس لنا بصوت نسوى رقيق بالرؤية

المتمردة الضائعة ، أدي هذا إلي الإسراف في التعبير بالشعر بجانب العزف علي نغمة واحدة هددت بالملل وشيء آخر قريب من التكلف والمغالاة في السرد والتوصيف . ورغم هذا إلا أنه من الشجاعة أن تطرق الكاتبة هذا النوع من الفن الروائي النفسي البحت .

واكتفت "إبتهال الشايب" بتصوير الأحداث من الخارج ، وتجنب السرد الدرامي والحوار المركز والنهايات المتآكلة التي توحي دون أن تقرر وغير ذلك من جيل الفن الروائي غير المحددة ورغم ذلك نلمح بين الحين والحين حسابا بالمكان فطبيعته المتباينة الغير منتظمة مناخيا والفصول المتباينة والوقت الذي يزحف كالسلحفاة ، وسمات الشخصية المطحونة من شدة الموت والبوار النفسي ورغم كل ذلك تتقبل كل شيء يقدم لها دون أن يسأل عن الأسباب كما صورت " يزن " عند هجوم " سامو" عليه لم يبدِ أي غضب أو انفعال فقط هو الرضا والخنوع الرضا والاستسلام اللذان اكتسبهما من أرض الموتى .

حين يكتمل ملف تكون عمل أدبي منشور خاصة وإن كان عمل روائي كالذي نحن بصدده حيث انتشر النقد التكويني في فرنسا وخصوصا المكتبة الوطنية بباريس لدراسة الأعمال الأدبية الروائية منها وهذا له عدة أسباب أولها أن العمل الروائي يسري في جو نفسي موحد وأشخاص ثابتين إلي نهاية العمل فقط يتطورون ويعملون علي تطور العمل الأدبي ، وحدة الموضوع وترابط البنية النصية.. إلخ ، كلها عوامل ساعدت النقد التكويني في أن ينشب أنيابه في أحشاء النصوص الروائية كي يخرج لنا النواة الدلالية لكل نص ولم يكن هذا إلا بعد أن يبين أي عمل أدبي عادة عن أربع مراحل كبرى ألا وهي :

١-مرحلة ما قبل الكتابة
٢- مرحلة الكتابة
٣- مرحلة ما قبل الطباعة
٤- مرحلة الطباعة

أولا مرحلة ما قبل الكتابة :

تبدأ عادة على شكل بدايات خاطئة ، فمثلا فلوبير أمضى خمسة عشر يوما و هو يفكر بقصته دون أن يكتب أي شيء، ثم أعاد قراءة بعض النصوص حتى اكتملت القصة في مخيلته وهنا بدأ بتأليف مخطط من ثلاث صفحات متناهية الدقة ، كما كان

يصحح مخططه كلما تقدم في الكتابة، أما في " يزن " فإن " الشايب " قد عانت الفكرة في مخيلتها كثيرا حتى خرجت من براثن جبها ، وقد تأثرت بوالدها كثيرا بثقافته وذائقته الأدبية وولعه بالقراءة ، فربما كانت الأزمة التي تفجر من جرائها " وفاة والدها " الذي يمثل بالنسبة لها صورة البطل / العالم ،ربما قررت "إبتهال " أن تقحمنا في تفاصيل كهذه لتقول أنها ما زالت أسيرة ذكريات ، فقط الذكريات هي القادرة علي أن تجعل من الإنسان قادرا علي مواجهة العالم ، رغم اختلافي مع ما ذهبت إليه (فالدنيا تؤخذ غلابا). وبداية فقد ذكرت أنها كانت نواة لقصة قصيرة حتى تطورت الفكرة لتنتج لنا هذا العمل الأدبي وقالت: " كانت فكرة " يزن" في البدء مهاد لقصة قصيرة تتحدث عن أناس لا يتحدثون وفاقدي ذاكرة ، ثم تطورت الفكرة إلى قصة طويلة تطورت معها الأشخاص وصاروا أشخاصا فاقدي نطق وسمع وذاكرة أيضا وبعدها ظهرت أماكن وأحداث دعمت فكرة القصة الطويلة حتى بدأت الفكرة في التطور والتخمر في ذهني حتى خرجت في شكل رواية وقالت أيضا أنها رأت أن الرواية هي الفن الأقدر علي استيعاب تلك الفكرة". وهذا ظاهر في المسودات ، حيث أن المسودة الأولية للعمل لا تتعدي الخمسون ورقة لو حسبت بشكل مرتب ومنظم ، وبالأسئلة الوجودية التي طرحت علي هوامش المسودة الثانية الناتجة في زعمي مما يحدث من أزمات نسبح فيها كان السؤال المهيمن علي فكر الكاتبة : هل نحن أموات أم أحياء ؟!

وتطورت كل هذه العوامل إلي أن نسجت لنا هذا النسيج المحكم بنية خارجية وتركيبا متناميا في البناء حتى ينتهي بنا إلي الحقيقة القائلة " إنها الذكريات فقط ، الذكريات تحيط بالأرض من كل اتجاه جميعها ذكريات حزينة ، ذكريات عذاب وألم ، ذكريات موتى : " أنا ميت بالفعل نزار لم يعد للحياة ، نزار ربما مات أكثر من ذي قبل " .

تذكر"يزن" في هذه اللحظة ابتسامة "أيما " الدائمة فأدرك : " تبتسم لأنها وجدت الظل هنا بعيدا عن الحزن ، الحياة هنا ، الوطن هنا على أرض الموتى " أدرك يزن جيدا أنه يوم آخر في أرض الموتى ، لميت سعيد .. أكثر من ذي قبل . "

وكأن كل هذه العثرات والتوهات حدثت بين غفلة عين و انتباهتها وأن الكاتبة توصف حالة الموات والبوار في نفوسنا بالموت الذي نعانيه كل يوم ندفن أنفسنا من التصحر والبرد في تراب نفوسنا ، نلمم تشرذم نفوسنا بأكفان طبيعية من أوراق الشجر فقط نغنى للذكريات ، فقط لا ندري - يا ابتهال - أهي التي تعبث بنا أم نحن من نعبث

Doi: 10.12816/MDAD.2020.88903

بها ؟! كما صورت في روايتك من صنع لبيوت من أخشاب ، وبحث عن حياة ،ومناداة لحبيب وفجيعة علي أبناءٍ ثكلى وأطفال بلا مأوي بلا أحلام بلا أهداف مشردون..وغيرها من ندبات بأرواح أبطال الرواية .

ثانيا مرحلة الكتابة " المسودات " :

وهي مرحلة التنفيذ الفعلي للمشروع وفيها تكمن مسودات العمل وفي هذه المرحلة يكون الكاتب بحاجة إلى ملف وثائقي حول ما يحتاجه للكتابة كظروف العصر... وقد تتكرر المسودة الواحدة لخمس أو عشر مرات على الأقل حتى تصل إلى الصورة التي يرضى عنها الكاتب.

ويمكننا في عمل "إبتهال" الكتابي أن نحدد ثلاثة أطوار لهذه المرحلة ، لنطبقها علي النص الذي بين أيدينا :

١ ـ طور السيناريوهات المحررة :

أول ما يقوم به المؤلف هو بسط عناصر السيناريو ولو بصورة عشوائية، فقد نجد في هذا الطور مقاطع قصصية متناقضة في البداية كتبت الرواية على أنها قصة قصيرة وكان بين المسودات فكر متناثرة هنا وهناك ، وقوائم كلمات يجب إدخالها في النص وأسماء مختلفة عن النسخة النهائية، وأحداث حذفت وأحداث أضيفت ، وعلى مستوى النص فإن هذا الطور هو الذي تبني فيه القصة أهم مفاصلها الزمنية، والسردية، والرمزية حيث أن الكاتبة كانت ترسم بعض المشاهد في الرواية رسما توضيحيا لم يكن مثبت بالنص النهائي ، وأيضا معظم أسماء شخصيات الرواية كانت أسماءها مغايرة عن الأسماء المثبتة في النص النهائي .

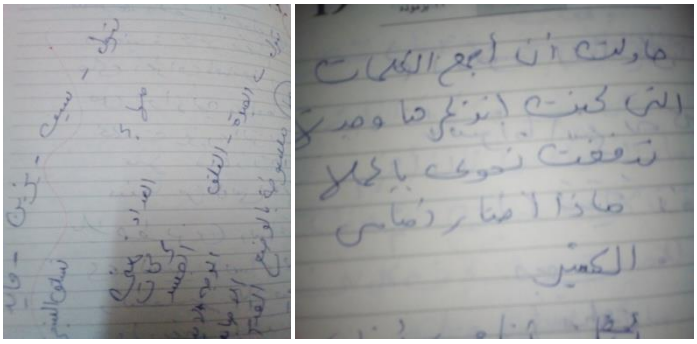

٢- طور الكتابات الأولية (المسودات)

وهنا تبدأ عملية التنصيص وتحل الجمل الحقيقية محل الأسلوب السابق ، وكانت الجمل مكثفة خاطفة في المسودات الأولية كل جزء بمفرده متداخل معه بعض الكتابات التي ليس لها علاقة بالنص المثبت فمثلا عملية حسابية أو كلمة بالفرنسية ربما ترجمتها تكون لها علاقة بالرواية أو حتى كتابات متقطعة وحروف متناثرة .

٣- طور التنقيح والتبييض:

في هذه المرحلة يبدأ النص بالظهور من خلال فوضى المسودات ،فقد بدأ ظهور النص في المسودات الإليكترونية فقد تشكلت الفكرة بشكل كبير وأخذت مجراها الأولي ، وطرأت عليها بعض التطورات والتغييرات من تبديل مثلا لأسماء الشخصيات مما يتناسب ويتكاتف مع النص وإخراجه ، وأحداث حدثت مع الأطفال فقد كتبت في المسودة الثالثة مثلا "أن الأطفال وصفتهم في المسودات بأنهم ميتون فقط ، ولكن في النص النهائي وصفت ميتتهم اليومية وصفا دقيقا كادت تجعلنا نعيش معهم ربما هذا يعود إلي تطور شخصيات الرواية أو إعادة بلورة الفكرة وحبكها لتخدم محاور النص الروائي .

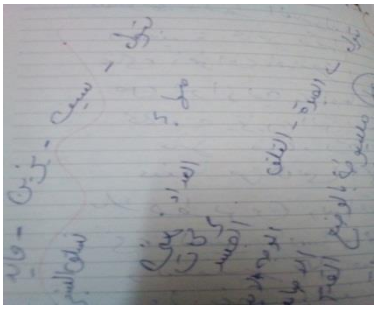

مسودة توضح الأسماء المغايرة في النص المثبت للمسودات

ثالثا مرحلة ما قبل الطباعة:

في هذه المرحلة يدخل النص غير المثبت نهائيا طور إنهاء مغاير ، ربما يكون فيه تبديل لكلمة أو تغير لمعنى تغير غير ملحوظ وفي النص الذي بين أيدينا يكون في مرحلة إليكترونية أي نظام الكتابة على "برنامج الوورد ".

Doi: 10.12816/MDAD.2020.88903

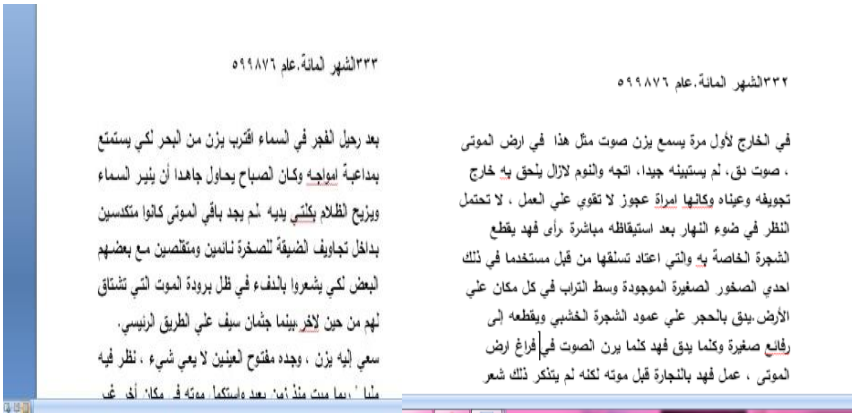

٣٣٢الشهر المائة.علم ٥٩٩٨٧٦

في الخارج لأول مرة يسمع يزن صوت مثل هذا في ارض الموتى ، صوت دق، لم يستبينه جيدا، اتجه والنوم لازال يحق به خارج تجويفه وعيناه وكانها امراة عجوز لا تقوي علي العمل ، لا تحتمل النظر في ضوء النهار بعد استيقاظه مباشرة رأى فهد يقطع الشجرة الخاصة به والتي اعتاد تسلقها من قبل مستخدما في ذلك احدي الصخور الصغيرة الموجودة وسط التراب في كل مكان علي الأرض يدق بالحجر علي عمود الشجرة الخشبي ويقطعه إلى رقائع صغيرة وكلما يدق فهد كلما يرن الصوت في فراغ ارض الموتى ، عمل فهد بالنجارة قبل موته لكنه لم يتذكر ذلك شعر

٣٣٣الشهر المائة.علم ٥٩٩٨٧٦

بعد رحيل الفجر في السماء اقترب يزن من البحر لكي يستمتع بمداعبة امواجه وكان الصباح يحاول جاهدا أن ينير السماء ويزيح الظلام بكلتي يديه ،لم يجد باقي الموتى كانوا متكدسين بداخل تجاويف الضيقة الصخرة نائمين ومتقاصين مع بعضهم البعض لكي يشعروا بالدفء في ظل برودة الموت التي تشتاق لهم من حين لاخر بينما جثمان سيف علي الطريق الرئيسي. سعي إليه يزن ، وجده مفتوح العينين لا يعي شيء ، نظر فيه ربما ميت منذ أمن بعد واستكمل موته في مكان أخر غير

رابعا مرحلة الطباعة:

في هذه المرحلة يوقع المؤلف على عبارة صالح للطباعة ويترجم هذا التوقيع بإنتاج الطبعة الأولى للنص ، في هذه المرحلة ساهمت أيضا مع الروائية د. هند سمير مصمم غلاف الرواية وحينما سألناها عن سر تصميمها لهذه اللوحة لتصبح كصفحة غلاف كان تحليلها كالتالي : أن الفتاة التي يلتف علي ذراعها الثعبان هي فتاة من عالم غير عالمنا ربنا يشبه عالم الموتى أو العالم السفلي والثعبان الملتف حول ذراعها ربما كان تميمة أو قوة أو لأنها من عالم سفلي لا يؤثر فيها سم الثعبان وهذا يعطي بعد آخر لرؤيتنا السابقة أن الثعبان الملتف حولها،وأيضا الزهور الزرقاء نوع نادر وهي دلالة لهذا العالم الغريب أيضا وأقرت د.هند أن الطريق في أرض الموتى يقسمها نصفين نصف يوحي بالموت والنصف الآخر ذلك العالم السفلي ،وهذا واضح علي الغلاف فمن يرى الغلاف بتمعن يفهم دلالة النص الداخلية فقد أبدعت د. هند في تصميم هذا وكان هذا إضافة علي منهجنا التكويني ونأتي بعد ذلك إلي إقرار النص النهائي وأن روائيتنا قد ارتاحت من هذا النص الذي أرق روحها وقالت أنه كان في أربع مسودات كل واحدة منهن بمقدمة فدمجت المسودات الأربع وكتبت مقدمة جديدة بالمرة – كما سيوضح – لتكون وليدة الحالة التي سيطرت عليها وأرسلت بعدها لدار النشر ، ومن المؤكد أنه كانت هناك أخطاء نحوية فلم يغير الدار سوى هذه الأخطاء ..وكن النص الذي بين أيدينا.

التكوينية النصية تحليل المخطوطات:

مناهج وإجراءات التكوينية النصية:

تسمح المراحل الأربع التي تم وصفها بجميع أطوارها بإعادة تشكيل التكون المادي للعمل الأدبي وفق تسلسله الزمني، ويمكن اختصار مجمل هذا العمل التمهيدي بأربع عمليات متتالية و متكاملة كبرى في البحث .

إعداد الملف:

يتم في هذه العملية جمع كل المخطوطات المتعلقة بالعمل المدروس ماديا وفيه يتم الآتي :

تحديد أنواع الوثائق:

ترتب كل وثيقة مؤقتا حسب نوعها (مسودة،مخطط نهائي،....)، وحسب مرحلتها، وتسمح عملية التصنيف هذه بترتيب المسودات في لفائف، فمقابل الصفحة العاشرة من النص المطبوع قد نجد على سبيل المثال اثنتي عشرة ورقة مخطوطة فيها نفس المحتوى.

وهذا نجده في الفصل الأول وله حوالي أربعة وثائق (مسودة بعنوان الحدث الأول بعنوان لقد مت ...) وهذه تعد مسودة ، والوثيقة الثانية بدأت تنهال عليها العبارات الفكر وبدأت أول قطعة شبه كاملة في روايتها "ساعة .. لمحت اضطراب نظراتي " وغيرت هذا إلي مسودة جديدة نسخت سابقتها بالكلمات التالية " حاولت أن أجمع الكلمات التي كنت أتذكرها وجدتها تدفقت نحوي بأكملها ماذا اختار أمامي "ثم يأتي دور المسودة الإليكترونية "

أري أن كل هذه المسودات أفكارا مشتتة حاولت "إبتهال "أن تفرغها في صفحاتها الأولي من العمل الروائي خشية أن تهرب منها حالة التشتت التي ذكرتها في مسودتها الثالثة " حاولت أن أجمع الكلمات التي كنت أتذكرها وجدتها تدفقت نحوي ... . " توصيف لتكثيف الأفكار بداخل الكاتبة مما أصابها بالتوهة ، وعدم القدرة على الإمساك جيدا برؤيتها وتحديد الفكرة المركزة حتى تصبح الرؤية واضحة جلية وتتحقق من أطرافها بقوة .

Doi: 10.12816/MDAD.2020.88903

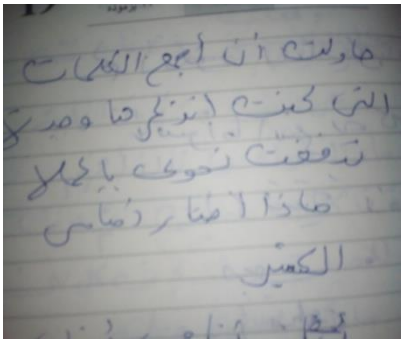

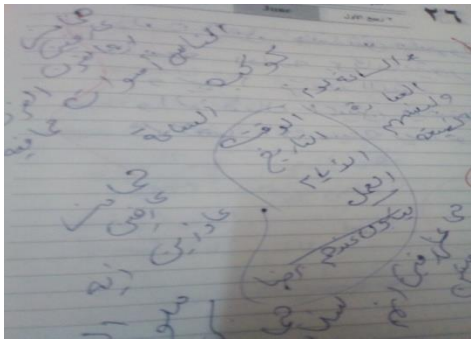

التصنيف التكويني:

وفيه تخضع الصيغ المختلفة لصفحة واحدة لعملية تحليل ومقارنة إلى أن يصبح بالإمكان تحديد موقعها على المحور التبادلي للتماثل، وعندها تظهر مقاطع من المخطوطات ذات مستوى واحد في الإعداد، إنها التركيبات التكوينية: أي العلاقات الترابطية بين الأوراق التي تنتمي إلى نوع واحد في المخطوط ، والتي تعطي صورة عما كان عليه العمل الأدبي بمجمله في كل طور من أطوار تكونه.

حين ينتهي العمل في هذين التصنيفين، يصبح لدينا جدولا بمدخلين يعرض لمجمل مخطوطات العمل حسب تسلسل تكونها ، وهنا في النص الذي بين أيدينا نجد أن الجمل التي هي علي خط واحد واخترت المسودة الأولي لأني وجدت بين يدي أوراق هذه المسودات التي كانت بين يدي الروائية ولم أفلح في الحصول علي بقية مسوادت العمل فاكتفيت بذلك مرغمة أخاك لا بطل .

إليك جدول روابط تصنيف تكويني بين المسودات :

	المسودة الأولي	المسودة الثانية	المسودة الثالثة	المسودة الرابعة	النص المثبت
نماذج للمسودات الواردة في النص	لقد مت	ساعة لمحت اضطراب نظراتي وتركتني وذهبت ساعة قلتها بقوة	حاولت أن أجمع الكلمات التي كنت أتذكرها وجدتها تدفقت نحوي بأكملها ماذا اختار أمامي الكثير أنام ، أنا ذهبت ، يختارني ، يرثي ، ساعة ، طعام ، دخول أيعرف .. أحتار ساعة فقلت بقوة .	لم أعتاد علي هذا أسوأ ما أشعر به كلماتها الرقيقة نحوي، أفتقدك ، أحبك ، لا أريد كل هذا لماذا اتجهت إلي جهازي (المحمول – الكمبيوتر) لكن ماذا حدث بعد ذلك ؟	الآن وفي مكان غير محدد ، هناك موتى فاقدو النطق والذاكرة ، معبأون فقط بلحظاتهم الأخيرة قبل الموت ، يسيرون في تيه وصمت ، بجوار صخرة كبيرة ، تتناثر علي وجهها تجاويف عدة تحوي الموتي ليلا ،وطريق طويل يقطع المكان إلي جزئين ،يرافقه بحر غربي واسع وأشجار ونباتات ، وتراب ووقت لا نهائي ،فاليوم في أرض الموتى .....، "إنه الحزن هو ما يعصف بكم وينسيكم .."
الألفاظ التي تكررت في المسودات لفظا	مت	تركتني – ذهبت	يرثي – ساعة -	أفتقدك – ماذا بعد ذلك	موتي – فاقدي النطق – اللحظات الأخيرة- تيه – صمت-الموت – صخرة – ليلا – غربي – الوقت

Doi: 10.12816/MDAD.2020.88903

ومعني					اللانهائي – السلحفاة – الأحشاء – الحزن – يعصف

مرورا بهذه الألفاظ نرى أن فكرة قتل الروائية لكل ما حولها عمدا مع سبق الإصرار والترصد لخلق الجو النفسي لدى القراء ورسم حالة الحزن والكآبة وفقدان كل البشر والحجر للقدرة علي التفكير أو إيذاء الرأي أو العيش في حرية أو الاستمتاع بأدنى درجات الحياة هو هو ما دفع الكاتبة إلى التنقل من مسودة إلي أخرى وقد سربلت قلمها بألفاظ الموت والحزن حيث لا حياة ؛ مازجة بين وفاة أبيها النابض في كل خلايا تفكيرها والمتحكم في كل مدادها الأسود وحالة السواد واللاحياة التي تخلقها الظروف السياسية من حولها .

فك الرموز والتدوين:

لا يمكن إنهاء عملية التصنيف دون عملية فك الرموز أي ما تم شطبه أو طمسه أو كتب بخط صغير بين السطور، حيث تسمح عملية الإطلاع على النص السابق من فك هذه الرموز ، مثل شطب كلمة وتركتني من المسودة الثانية – وهناك أحداث محيت في النص المثبت وكانت مثبتة في المسودات مثل : أن البطل كان طالب جامعي ، وحساب الشهور الذي أعدت له الكاتبة في كثير من صفحات الرواية . وباختصار فإن عمليتي التصنيف وفك الرموز عمليتان متلازمتان وهما اللتان تشكلان جوهر عملية التقصي في التكوينية النصية .

ولقد تم تطوير تقنيات خاصة لفك رموز النصوص المعقدة (علم الرموز الذي يدرس التركيبات الكيميائية للحبر المستخدم في المخطوط ، وللورق، تقنية الليزر: تسمح هذه الطريقة من كشف الأوراق المزيفة)

ورغم هذا فإن دوبيازى قد أغفل العديد من المراحل منها دراسة الفضاء والفراغ ، وتلاقي الكتابة والصورة ، وفهم علاقة المسند بالكتابة فالنقد التكويني ينبغي ألا يهتم فقط بما هو لغوي منطوق فوق الصفحة بل يهتم أيضا بالأشكال البصرية والسيميائية من رسوم وصور وأيقونات تشكيلية ورمزية ؛ وكان علي دوبيازي أن يفرد لها ملفا خاصا . واغفل أيضا النص الرقمي من أقراص ممغنطة ، وأشرطة وفيديو كاسيت وغيرها من الرسائل الرقمية المتنوعة أو حتى النسخ المكتوبة علي جهاز الحاسوب .

وثمة مرحلة مهمة لابد من الإشارة إليها ، وهي أن هناك وسيطا بين المؤلف والمطبعة وهو الناسخ أو الكاتب باليد أو بالآلة الكاتبة أو الحاسوب ، فهذا الناسخ يكون هو الرجل الأول الذي يطلع علي أسرار الكتابة وصناعتها ، فناسخ كتابات طه حسين مثلا يعرف كيف كان يملي طه حسين ، ومعلوم جدا أن ثقافة الناسخ كانت منتشرة في الثقافة العربية فقد كان الحريري والجاحظ ناسخين للكتب بامتياز ، ومن ثم يعد الناسخ القارئ الأول للمخطوط قبل القارئ الحقيقي .(٤)

وربما يكون قد اغفل كلمة أو غير حرفا أو بدل في الأسلوب فهذه تعد مرحلة أيضا أغفلها دوبيازى ، وكان عليه أيضا أن يتحدث عن سيموطيقا المخطوطات والمسودات التي تدرس الفضاء البصري للكتابة ، وعلامات الترقيم ، وتنظيم الصفحة ، وتوزيع الكتابة أفقيا أو عموديا ، والتحكم في ثنائية السواد والبياض ، وثنائية الفراغ والامتلاء فى النص المطبوع ، ومعرفة كيف تتربع الحروف علي الصفحة ، وتتشكل العلامات الكتابية والبصرية ، ومعرفة أنواع الخطوط والأسطر والفراغات الموجودة بها ومعرفة كيف تتم عملية النسخ ، وتوزيع الصفحة ، وكيف تتشكل هندسة الصفحة ، ويعنى هذا كله أن ثمة غنى سيموطيقيا في هذا المجال .

ولمواكبة العصر يجب علينا أن نضع مرحلة تتسع للمصحح اللغوي الذي يعمل علي شطب وتغيير وتبديل الألفاظ بل والسياق أيضا وتصحيح بعض الأخطاء اللغوية فالكاتبة هنا غير متخصصة في علوم اللغة لذا وجب تمرير النص علي مصحح لغوي وقد ذاع صيت هذا الصنف من الناسخين في عصرنا الحالي، وهو كالناسخ في أنه القارئ الأول للنص لكن له صلاحيات أكبر من الناسخ حيث يقوم بتعديل النص ، بما يتوافق مع السياق الأدبي واللغوي السليم . وظهر هذا في العصر الحديث لذا يجب وضع طور لدراسة هذه المرحلة لأنها حقيقة مرحلة يعتد بها في تكوين المؤلف لنصه لأنها في بعض الأحايين تصل بالنص إلي نص موازٍ وليس هو النص الأصلي لفظا ، وصار بهذا كله الكاتب ليس هو المؤلف الوحيد فقط ولكن كل هؤلاء اشترك في تكوين النص وهنا يجدر بنا ذكر المسودات التالية :

Doi: 10.12816/MDAD.2020.88903

١٧الشهر المائة وواحد.عام ٥٩٩٨٧٦
، يبتلع البحر الشمس كل يوم ساعة الغروب في نهم و تخرج
شمس جديدة كل يوم من وراء الصخرة وكانها كانت تخبتا متّهم
في احد تجاويفها دون أن يستغرق ذلك كله الوقت الطويل الذي
لطالما استغرقه من قبل.يلاحظ يزن ولا يفهم كل ما أدركه إن ربما
الأطفال في الصباح يصعدون الأشجار في عجالة أو ربما الأعمال
التي يقوموا بها هي التي لا تشعرهم بطول الوقت و قد تابع من
بعيد طريقة صعود الأطفال لكي يكتشف السبب ، وجدهم فوق
الأشجار يلعبون وينزلون ويصعدون علي فترات غير متتالية
'ربما وراء ذلك معني ' أدرك في يأس.

وعلي صعيد آخر يمكن الحديث عن المخطوط الالكتروني الرقمي، الذي بدوره يتعرض إلي عمليات التفاعل والترابط النصي . كما يستفيد من عمليات التصحيح والتعديل والشطب ويقدم نسخا جاهزة، ومعدلة بطريقة لآلية ، فلا دخل للكاتب في عملية الكتابة فبرامج الحاسوب مهيأة لكل الخطوط وأنواع الكتابة ، فهناك المصحح الآلي الذاتي الذي يقوم بكل شيء في الوقت نفسه ؛ لذا تعرض لنا الشاشة مجموعة من النصوص دفعة واحدة ، فكل المصادر تحصر بطريقة واحدة من زمن واحد .ويجب أن نشير إلي تقنية التحقق العلمي والتي لا نحتاج فيها إلا إلي وثيقة مكتوبة بخط الكاتب والانتباه أثناء الدراسة إلي هذه الوثيقة .

ويجب أن نشير إلي علم الرموز الذي يدرس الركائز المادية من حبر وأقلام وعلامات ورقية وطبيعة الورق (ثخانته – لونه – قياسه)

وتعد مغامرة صعبة بالنسبة لها وهي في مقتبل عمرها الأدبي تحتاج إلي تمرسا علي الإبداع والتصور الشمولي لثمار كل الأشكال الأدبية والفنية بجانب حس واع عميق بالمكان والزمان – وإن كان لديها من الحس بالبيئة المتصورة ما يكفي لأن تعيش معها كل هذه الأحداث – وتتصور أيضا بطء الوقت وسماجة الصقيع وتباين الفصول الأربعة والخلل الواضح الذي أدي بدوره إلي خلل وتوهة في شخصيات العمل وأن الزمن هنا

ليس زمن الأجندة الرتيب، بل هو الماضي والمستقبل طارحة توتر الحاضر إلي جانب الطرقات، والمكان ليس التتابع الوصفي الواقعي. بل الواقع قريب من الديكور المتخيل أو الحلم وأخطر أداة استخدمتها بدون أن تسيطر عليها هي تجربة غياب ضمائر الرواة وفي جل الوقت كانت هي الراوي الأول هذا أدي إلي التغريب الذي أدي بدوره إلي الإحساس التشتت المتعمد وهذا يهدد تلقائية التجربة الفنية عندما يهمس بالمعني غير أن التناقض بين موضوعية ما تريد أن تحكيه أو تقدمه وبين رواية نماذجها مهتزة لحد كبير وبنائها لهم في نسيج التوهيمات الفكرية هذا التناقض أضعف من حيوية العطاء الفكري في هذه التجربة النفسية ورغم هذا فمحاولة كهذه تدفع السرد النسوي إلي الأمام وتستحق الاهتمام والتقويم، وإنها تعد الأولى من نوعها في السرد النسوي السائد.

ولعل من الأمانة النقدية في الحكم علي محاولة جيلنا في الرواية الانتظار مع المتابعة النقدية الدائمة لكل محاولة جديدة وما من شك أن جيلنا - نقادا وقُراء- كله اتجه إلي الرواية كفن تصدر المشهد الأدبي- لما قد سبق وذكرناه- ورغم هذا الانغماس إلا أنه يتوجب علينا أن نخرج من تلك العباءة المهترئة الممزقة كي نعيد للرواية المصرية وجهها الناصع، أو أننا نعمل علي تطويرها كما أن- سبق لنا الذكر- الكاتبة تأثرت وأطلعت علي كتابات أوروبية مترجمة وغير مترجمة فكانت نتيجة هذا التباين الملحوظ في طريقة تناول الكاتبة للرواية بشكل جلي .(٥)

Doi: 10.12816/MDAD.2020.88903

المراجع والمصادر:

١- تأليف مجموعة من الكتاب، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، ترجمة رضوان ظاظا مراجعة د/ المنصف الشنوفي، عالم المعرفة، ١٩٩٧م.
٢- د/ عبد الرحمن أبو عوف، البحث عن طريق جديد للقصة القصيرة المصرية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١م.
٣- المرجع نفسه.
٤- مرجع سابق، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي.
٥- مقتبس من كتاب البحث عن طريق جديد للقصة القصيرة المصرية.